شعرية الغضب السياسي في شعر عيسى لحيلح

د.موسى كـــراد
قسم اللغة والأدب العربي معهد الآداب واللغات
المركز الجامعي عبد الحفيظ بالصوف – ميلة –
البريد الالكتروني: m.kerrad@centre-univ-mila.dz

ت الاستقبال:18-06-2019 ت القبول: 28-12-2020
ت النشر:31-12-2020

Abstract:

The purpose of this research is to investigate the poetry of political anger in the poetic text of the Algerian poet Abdullah Issa Lhileh, explore his historical awareness and monitor his temporal space, in addition to trying to present a reading of this anger and its social and ideological dimensions and its impact on the poet's psyche, where we found him an upset, resentful, disaffected with the conditions of his country Algeria and the Arab world are social and political corruption, backwardness and the collapse of values in all their meanings and repercussions, so he took from his poetry a means and a means through which he expresses his anger, his disgust and his complaint, complaining of obscene and obscene situations.

Key words : *the poetry ;Political anger; Issa Lhileh;*

ملخص:

إنّ غاية هذا البحث هو استقصاء شعرية الغضب السياسي في المتن الشعري للشاعر الجزائري عبد الله عيسى لحيلح وتحري وعائه التاريخي ورصد فضاءه الزمني، إضافة إلى محاولة تقديم قراءة لهذا الغضب وأبعاده الاجتماعية والأيديولوجية وأثرها في نفسية الشاعر، حيث وجدناه منفعلا مستاءً ممتعضًا، ساخطًا على أوضاع بلده الجزائر والوطن العربي من فسادٍ اجتماعي وسياسي،

وتخلُّفٍ وانهيار للقيم بكل معانيها وتداعياتها، فاتخذ من شعره وسيلة وأداة يعبر من خلالها عن غضبه واشمئزازه وشكواه متبرمًا من الأوضاع المسيئة الفاضحة.

كلمات مفتاحية: شعرية؛ غضب سياسي؛ عيسى لحيلح؛

مقدمة:

يتموقع البعد السياسي في شعر عيسى لحيلح تموقعا حادا ولعله من الأهمية بمكان التأكيد على بروز الجانب السياسي في الخطاب الشعري لا يعني بأية حال من الأحوال انه يتسم بالخطابية أو أنه عبارة عن بيانات سياسية فارغة من الشعر؛ بل الأصح أنّ البعد السياسي هو أحد مكونات التجربة الشعرية وواجب التنويه إلى أن الحركة الاجتماعية لا تنفصل عن نظيرتها السياسية، فهي " لحمة واحدة تجمع بينهما وهي المجتمع نفسه الذي تسري فيه الحركة "[1]، ولذلك فان الأدب المعبر عن هذا الواقع والمجتمع وحركيته لابد وأن يكون مُسَيَّسا – ولو نسبيا – حتى ولو افترضنا أن الشعراء المعاصرين لم يكونوا متعاطين السياسة بمعناها الخاص أو ممارسين لها بصفة مباشرة وهو أمر فيه نظر إلا أن هذا لا يعني البتة أنهم كانوا دون وعي سياسي وبالتالي لا يعني هذا أن خطاباتهم الشعرية لم تكن متصلة بمسائل السياسة ولو من زاوية التفاعل وما يهمنا هنا شعر عيسى لحيلح التي حملت حمولة سياسية تمخضت من تجربته الحياتية وخبرته بأمور مجتمعه.

ونعتقد أن تناول البعد السياسي في شعر عيسى لحيلح وأثره النفسي يمتلك قدرة كبيرة على عكس جانب مهم من الحياة في مجتمع الشاعر، حيث

[1] أحمد المديني، أسئلة الإبداع في الأدب العربي المعاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1985، ص:21.

تصبح للقصيدة إمكانات تعبيرية وحركية هائلة هي أقدر ما تكون على عكس مناخات العصر وأمزجته.

ولما كانت ذاتُ (عيسى لحيلح) قد عجزت عن تحقيق ما تصبو إليه من علاقات اجتماعية كانت تأملها نتيجة الاستبعاد الممارس ضدها راحت تبحث أسباب هذا الانهزام خارج النطاق الاجتماعي، فوجدت أن طغيان فلسفة القمع والعنف السياسي والانغماس في الملذات لدى الحكام، وسيادة عقلية الرضوخ والاستسلام لدى الشعوب هي أحد مسببات هذا الوضع الشائخ المتردي وبالتالي ضياع الإنسان وفساده.

1) وقفة تاريخية نقدية مع شعرية الغضب:

يتفق أغلب النقاد أن ظاهرتي الغضب والرفض يرتبطان بفن الشعر ارتباطا شديدا، فالشعر ذاته – منذ تاريخ وجوده إلى يومنا هذا– لم يقترن في مضامينه بظاهرة من الظواهر قدر اقترانه بالرفض والغضب؛ بل " إنّ شعرنا المعاصر أشد ارتباطاً واقتراناً بهذه الظاهرة بسبب ما يكتنف هذا العصر من هموم وتناقضات تكاد تشمل كل الميادين والمجالات حيث يجد الشعراء أنفسهم إزاء واقعهم الاجتماعي المعيش وقد تقاذفتهم هموم الحياة اليومية فينزعون إلى التعبير عن آمالهم وآلامهم بكل غضب وسخط، ومن ثَم تولد إبداعاتهم الشعرية متأججة بنيران الثورة والرفض "[2].

وقد عَدَّ النقاد المسلمون القدماء الغضب مصدرا للشعر ودافعا للشاعر لأن يقول أي غرض من الأغراض الشعرية كالهجاء أو الفخر أو حكمة ينتقد بها الوضع الذي تمرد عليه أو رفَضَه، فابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) يتحدث عن دوافع الشعر ودواعيه فيقول :" وللشعر دواع تَحُث البطيء وتبعث المتكلّف، منها الطّمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطّرب، ومنها

[2] سعيدي محمد، الرفض في الشعر العربي، مجلة الأثر الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة – الجزائر– العدد السابع– ماي– 2008، ص: 131.

الغضب"[3]، ويُروى أن عبد الملك بن مروان قال لأرطأة بن سهية: " هل تقول الآن شعرا؟ فقال: كيف أقول وأنا ما أشرب، ولا أطرب ولا أغضب إنما يكون الشعر بواحدة من هذه .."[4]

ما نستشفه من هذه المقاطع النقدية أنّ الغضبَ اقترن بالشعر العربي عبر مسيرته التاريخية، ولعل أقدم النصوص التي تمثل هذا الاتجاه هو ما وصلنا من شعر الصعاليك في العصر الجاهلي، حيث كشف شعرهم عن الإحباط النفسي والغضب الاجتماعي والسياسي الذي عانوا منه في قبيلاتهم مما جعلهم يتميزون بالصبر والجرأة.. هذه الخصائص تجسدت في شعرهم فصبغ بخاصيتي الرفض والثورة ..[5] .

أما في عصر صدر الإسلام نجد غضبة شعراء الدعوة الإسلامية أشد وأكبرا، أولا دفاعا عن الرسول الكريم صل الله عليه وسلم، وسخطا وغضبا لما لاقاه من معارضيه، فتصدوا بشعرهم الذي كان يحمل في أنفاسه غضبا شديدا تجلى في ذلك الهجاء الذي كان وقعه أشد من وقع السهام، خاصة بعد الدعم المعنوي الذي وجدوه من رسول الله من خلال قوله: " لسلاح البيان أشد عليهم من وقع السهام في غبش الظلام "[6] تأكيدا منه لما يثيره شعرهم من ثورة غضب تضعف هممهم وتعري انتفاخهم، وتفضح عيوبهم.

---

[3] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تقديم الشيخ حسن تميم، مراجعة محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، ط3 ، لبنان، بيروت، 1987، ص: 3.

[4] ابن قتيبة، المرجع نفسه، ص: 34- 35 .

[5] ينظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ج1، ط5، 1984، ص: 103.

[6] أبو عبد الله اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير دمشق ،ج5، ط1، 2002، ص: 420.

أما العصر الأموي فقد شهد ثورة غضب محتدمة نتيجة الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي عرفها هذا العصر، فاحتضن اثر ذلك "حركة شعرية واسعة، متّسمة بالرفض والثورة والانتقاد والمواجهة، وعلة ذلك هو أن هذا العصر قد شهد ميلاد أحزاب سياسية متنافرة، منها حزب بني أُمية، وحزب الشيعة الموالين لأهل بيت النبي، وحزب الخوارج وحزب الزبيريين.. "[7]، وقد اتخذ كل حزب شاعره من شعراؤه الذين تصدوا للدفاع عن حماه وأعراضه. مما أدى إلى زيادة فورة الغضب وتأججها بين المعارضيين لبعضهم بعضا، فاتسع نطاق شعر الغضب خاصة منه السياسي.

ولم يختلف العصر العباسي كثيرا عن الأموي؛ حيث شهد تفاقم وتأجج الصراعات الاجتماعية والسياسية بين طبقات المجتمع المختلفة.. مما أدى إلى استمرار نزعة الغضب – لاسيما السياسي والاجتماعي منه– تجلت في الكم الهائل من شعر الهجاء والفخر الذي يناسب تفريغ ثورة الغضب لدى الشاعر. شافيا للغليل مجسدا كل ما يموج في النفس من صراع وسخط، ونجد (أبو الطيب المتنبي) و(الشريف الرضي) من بين أكثر الشعراء العباسيين الذين تجلّى سعير الغضب والرفض في شعرهما،

أما المتنبي " فقد تنبه إلى ما كان يهدد كيان العالم العربي والإسلامي من تمزق وانحلال داخلي يمكن إرجاعه إلى التصدع الأخلاقي والسياسي والاقتصادي، والتهديد بالاحتلال من طرف أمم مجاورة كالروم والترك والفرس، وإهمال الاعتناء بأمور الرعية، وكان موقفه من هذا الوضع رفضه له، والتنبيه لسلبياته.."[8]، فكان كل مَن يصده عن تلك المساعي

[7] عمر فاروق الطباع، مواقف في الأدب الأموي، دار القلم، لبنان، بيروت، ط1، 1991، ص:21.

[8] يوسف الحناشي، الرفض ومعانيه في شعر المتنبي، تونس، الدار العربية للكتاب، ط1 ،1984، ص: 5.

والتطلّعات مرفوض ومنبوذ. ولا سيما أنّه عاصر واقعا اجتماعيا وسياسيا متأزما، كان يرى ظواهر التمزق واضطراب تتّسع يوما بعد يوم، فاصطبغ شعره بمعاني الغضب والنقد متأججا بنار السخط والرفض.

أما الشريف الرضي فقد " طبعت قصائده بطابع الثورة والثأر، وغذت قريحته المتوقّدة بأثمار المعاناة مع الذات والمجتمع، فجاءت ألوانه متميزة الملامح، تفيض بالحرارة والصدق وشدة التأثير "[9]. مم عاناه وذاقه من صنوف الشقاء والمأساة.

وفي العصر الحديث ازداد اقتران الشعر بظاهرة الرفض والغضب والسخط نظرا لاستفحال الحضارة والمدنية في مجتمعاتنا وما ينجرّ عن ذلك من هموم ومصائب اجتماعية وسياسية وفكرية لا يطيقها عامة الناس... فنجدّ الشكاوى والتوجعات والتأوهات – من العصر وأهله – عند كبار الشعراء المعاصرين، عندَ أَمل دْنقُل وعبد المعطي حجازي وصلاح عبد الصبور وغيرهم[10]، سنكتفي بذكر أمثلة لبعض الشعراء الذين تمثلوا ظاهرة الغضب والرفض في شعرهم.

فهذا نزار قباني يصور العصر الذي يعيشه ويحياه بأنه عصر غضب؛ وبالتالي لابد أن نتبنى هذا الغضب ثم نرفض كل مذلة وانكسار، حيث يقول:

نرفض أن نكون كالخرفان وادعين

نرفض أن نظل مسطولين... دائخين

يا شعرنا كن غاضبا

يا نثرنا كن غاضبا

يا عقلنا كن غاضبا

---

[9] حميد مخلف الهيتي، الرفض في شعر الشريف الرضي، مجلة آداب المستنصرية، العراق، بغداد، العدد14 /1986- 1406، ص: 60.

[10] سعيدي محمد، الرفض في الشعر العربي، ص: 133.

فعصرنا الذي نعيش عصر غاضبين [11]

ويعبر أمل دنقل عن غضبه في قوله لا في قصيدة (لا تصالح) يقول:

لا تصالح على الدم ... حتى بدم

لا تصالح ولو قيل رأس برأس

أكل الرؤوس سواء

أقلب الغريب كقلب أخيك؟

وهل تتساوى يد ... سيفها كان لك

بيد سيفها أثكلك [12]

إنّه نص يفيض غضبا ورفضا ولا يقبل بأي مساواة، بأي تسامح وتصالح، لذلك اتسمت قصائد (أمل دنقل) بالغضب والصدق والعفوية وجرأة قلّما نجدها عند معاصريه.

إنّ الشعر احتراق – كما يقول النقاد– يطمح أن يحارب كل فساد العالم؛ ذلك هو عنوان حضور ظاهرة الغضب في الشعر الإنساني الجزائري والعربي والعالمي، إذ لا يمكن أن يكون شعرا إذا لم يمتزج بغضب العصر.

---

[11] نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، لبنان، بيروت، منشورات نزار قباني، ط2 ،ج3. السنة 1982، ص: 137.

[12] أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة بيروت، مكتبة مدبولي القاهرة، ط2، 1985، ص: 326.

2) شعرية الغضب السياسي في شعر عيسى لحيلح: نماذج مختارة:

لقد وجد الشاعر الجزائري (عيسى لحيلح) في القصيدة ملاذا ومأوى فنيا وثقافيا لآلامه وخيباته السياسية، ومسرحا لأحداث سياسية عاشها الشاعر بكل جوارحه.

تميزت هذه التجربة التي عاشها مع وطنه ومجتمعه بالغضب إزاء الأوضاع التي كان شاهد عيان عليها سواء اجتماعيا وسياسيا وفكريا. على أنّ غضبه السياسي كان الأكثر بروزا والأشد تأثرا، والأكثر تجليا في قصيدته الشعرية.

سنحاول أن نكشف بعض تجليات هذا الغضب السياسي وشعريته من خلال بعض النماذج الشعرية اللحيلحية.

يقول الشاعر في قصيدة **(وشم في زند قرشي)** وهو يقف على (ديار مية) ويُبْرِزُ تعلقه وشغفه بهذه الديار ووفائه لها، رغم ما تعانيه من سوء تدبير وإدارة من هم في أعلى السلطة، مما أثار غضبه الذي جعله يثور ويكشف الخطر الذي يهدد الوطن:

صَـــحِيحٌ... ولكـــنّ أَرَانِـــي مُتَيَّمَـــا بِـــأَرْضٍ وأَوْطَـــانٍ تُبَـــاعُ وتُشْـــتَرَى

لِكُـــلِّ مَجوســـي فـــي بـــلادي مـــوطن وأَصْـبَحْتُ فـي أرضـي وداري منكـرا[13]

[13] عيسى لحيلح، وشم في زند قرشي، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة الجزائر ط1، 1985، ص:7- 8.

إنَّ أرض الشاعر وموطنه أصبح فيها غريبا مغتربا يشعر بالوحشة واليأس والغضب نتيجة اليتم والاستلاب الذي يعيشه في وطنه، بل الأدهى من ذلك أن وطنه أصبح يباع ويشترى بأبخس الأثمان، ويواصل الشاعر سرد تداعيات وأسباب غضبه ومعاناته مستدعيا "خيول الله" – ويقصد بها جند الله الَّتي ستنصر الإسلام والمسلمين–، يقول:

هلُمي خيول الله نوقظ غافيا نبعث إسلاما وشعبا مخدرا

وذلت قريش في أواخر عمرها وعز الذي أذللت يا خيل أمرا

وكان جهاد الأولين موحدا وهذا نضال الآخرين تنصرا

أطلي خيول الله..دوسي و جددي هوانا..رؤانا..و حدينا ينصرا

تموتين خيل الله ظمأى وحيدة وهذه قريش تعصر النفط أبحرا

ومالت موازين و ديست مبادئ فغُدَّ التعري في قريش تحضرا

وسنت "قريش" من هوانا مهازل تسفه أحلاما لتعبد عسكرا[14]

إنّا نرى الشاعر – من خلال هذا المقطع – يتنفس غضبا؛ فيبدو منفعلا مستاءً، ساخطًا على أوضاع بلده الجزائر ووطنه العربي لِمّا طغى عليها من الفسادِ والانحلال والتخلُّفِ وانهيار للقيم. وهو يستنجد بـ(خيول الله) و(جند الله) – وهي هنا معادل موضوعي – لرَدِّ العزة لدينه ومجتمعه بعد أن اسْتَعْرَضَ

[14] المصدر نفسه، ص: 8–9.

الفتن والمصائب والمهازل. بعد أن بَدَّلَتْ الظروف والأزمان دين وديدن مجتمعه وحُكامه؛ وهو يقصد بقريش هنا "وطنه الجزائر" ووطنه العربي الكبير.

وفي قصيدة (أنت الصلاة) يقول عيسى لحيلح:

أفغان إنْ نَسِيَ الأَعْرَابُ ساحتها فالسيف يرسمها "بدار" على الأفق
والناس إن كفرا فالدين منتصر والناس إن نتنوا فالدين في عبق
صبرا جميلا فسيف الكفر منكسر بالسيف لا يرنا حبر على الورق
الحب أعرفه موتا لأنظمة تخشى منازلة الأنوار والأَلَقِ
والحب أعرفه صلبا بلا سبب والحب سيدتي سيف على العنق
تقتات سيدي النار مسجدنا لا تسألي كيف.. فالحكام في شبق
خضراء فاتتني طال الغياب لها فالعصر سكران يدعوني إلى الغرق[15]

لا يحتاج هذا الخطاب الشعري إلى توضيح فهو أبْيَنُ ما يكون على الوضع السياسي والاجتماعي المتردي الذي يدعو للغضب والسخط، ولا يحتاج إلى تحوير لخطاب الإيديولوجي فهو في أبسط معانيه خلاصة مريرة لواقع الإنسان السياسي المتشبع بالمعاناة المريرة والقهر السلطوي الغارق في السكر والغياب.

ففي المقطوعة، نلمس غضب الشاعر من الحُكّام، ويتجلى ذلك من خلال وصفهم بأرذل وأقذع الأوصاف وأشنعها، والتي تعبر عن سلوكياتهم وأفعالهم، فكانت تعبيرا عنيفا شديدا لما يصدر من سياساتهم وأخلاقياتهم الفاسدة التي أدانها مرارا وتكرارا بلغة موحية صادقة بعيدة عن التكلّف.

وفي قصيدة (حديث على الدمن) يقف الشاعر على عدة رموز استعان بها الشاعر لدلالات جمالية وشعرية منها رمز (صلاح الدين الأيوبي) يقول عيسى لحيلح وهو يكشف واقعه السياسي وغضبه منه:

[15] عيسى لحيلح، وشم في زند قرشي، المصدر نفسه، ص: 8-9.

ويـدنو صـهيل.. يَـدُكُّ المنـافي سـيف الفيـاني.. يثـور نبـاح

أحاضـر بالخيـل..أبكي..أغور بذاتي..و يسكن صوتي كساح[16]

ثم يأتيه (صلاح) فيكشف له أوضاع مجتمعه السياسية:

أمـولاي..أدرك خـلالا ودينـا لقد شل سيف و بيعت رماح

أمـولاي.. لا ردم غيـر سـوانا مسـيلمة عاد..عـادت سـجاح

يموت إمام و ينسى.و إن جف ف سـاق فكـل الزمـان نـواح

تموت الفحول و كل الخيول فيخلـو لكـل العجـاف المـراح

وأيـن الأبـاة الهـداة ؟ تولّـوا جميعا و شقوا الجيوب و نـاحوا

وخيطت شفاه و سدت لهاة لكـل النـوارس قُـصَّ الجنـاح

ورايـات فـتح؟ أهينـت و خُـطَّ شـعار كوجـه القـرود وقـاح[17]

إنّ الشاعر وهو يكاشف (صلاح الدين) وهو يراه في الحلم يكاشفه ألامه ومحنته، ويشتكي إليه علَّه يعود ويُخَلِصَهُ من هذا العذاب... لكن هيهات...لأنه بقي وحيدا وحيدا، يقول:

---

[16] عيسى لحيلح، وشم في زند قرشي، المصدر نفسه، ص:51.

[17] المصدر نفسه، ص:51 .

أ"ميـــة" بـــرد يلـــوك عظـــامي أجيـــري! فـــإني مُشـــاع مبـــاح

أجيـــري أجيـــري! أواهٍ علـــيَّ! بقيتُ وحيدًا متـى يـا صـباح؟

وحيـــدا وحيـــدا ألـــف ديـــارا سقتها دموعي محتها رياح[18]

لقد تعمد الشاعر عيسى لحيلح – من خلال هذه المقطوعات التي تتسم وتنتفض غضبا– أن يكشف ويفضح أوضاع بلده المُحزنة، مُعَبِّراً عنها بأسلوبٍ حزين مفعم بالصدق والحاجة للإصلاح، معريا الوضع الفكري والاجتماعي والإنساني التي تعيشها الطبقة السياسية في ذلك الوقت، مبينا أثر ذلك على المجتمع والمثقف، والذي يؤدي للغضب والقلق ورفض للواقع ومآلاته، وخلق حالة احتقان وعدم تجانس وتوافق طبقات المجتمع مع سلطته السياسية.

إنَّ القارئ لشعر عيسى لحيلح وخاصة شعره السياسي يدرك تلك المقارنة التي يعقدها بين زمنين وفترتين مختلفتين، تتسم الأولى بأنها أيام العزّة والسؤود والازدهار، بوجود قادة خالدين كصلاح الدين الأيوبي، ويصف الثانية بأنها مستنقع الانحطاط والخضوع والخنوع يمثلها قادة اليوم.

والمطّلع على سيرة حياة الشاعر يجد أنّه غوضب وأُحبِط، وافتقد الثقة، فجاءت لغة شعره وأسلوبه مشبعًا بألفاظٍ تعبر عن حجم الخيبة والإحباط الذي عانى منه من مثل (مسيلمة عاد، عادت سجاح، وخيطت شفاه وسدت لهاة، وحيدا وحيدا..) وهذه وما شابهها معادلات موضوعاتية وفنيّة لنقدهِ الغاضب الانفعالي.

[18] عيسى لحيلح، وشم في زند قرشي، ص:51–52.

ونود أن نُنَبِهَ إلى خاصية امتاز بها عيسى لحيلح وهي ثورته الهادئة على الطلل؛ – الذي لا ينفع ولا يضر– حيث يعوضها بمقدمة تحريضية ثورية احتجاجية سِمَتُها الغضب والرفض، يقول:

لو ينفع الدمع أنشرنا به رسما لكن دمعك لا يحي و لا يرف[19]

وتأتي مقدمته التحريضية الثورية المليئة بالغضب كما يلي:

دَعْ ذا.. وألبْ شعوبا في مرابضها من همها الجنس و التصفيق و العلق

في مهمه سبسب تاهت قوافله أنهتدي و حرامينا هم السلف؟[20]

وقوله أيضا:

وكل حزب أقام الشعب مختبرا في كل يوم لنا دين و منعطف

الله يا وطنا بالذل مشتملا سادت ثعالبه..فاستأسدت جيف

الله يا وطنا تخلى مساجده كي تعمر ألحان والبارات والسدف

الله..الله في دين وفي قيم قلَّ النصير و إنما معشر أنف[21]

---

[19] عيسى لحيلح، غفا الحرفان، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص: 78.

[20] السلف: القدم يتقدمون القافلة ينفضون الطريق.

[21] عيسى لحيلح، غفا الحرفان ص: 76_79.

مِنْ هذَا الوَضْع الذي يمثل تغيب فيه العدل والحرية كليا، ويصبحُ الوطن مُستَلَبًا والمسجِدُ حانةً ويَقِلُّ النصيرُ للدِّين والقيم، وصار الشعب فئران تجارب لأحزاب لا تهمها سوى الجِنْسُ والتَّصْفِيقُ والعَلَفُ...

مِنْ هذه الأوضاع السياسية المذلة يَنْبَثِقُ الشعر الثوري الاحتجاجي، شِعْرُ الأسى والغضب المتفجر الذي لا حاجة للشاعر فيه لاصطناع الإيماءات المبهمة أو الإشارات الخفية فالواقع المرعب لا يحتاج إلى إيماء أو إيحاء:

دَعْ ذا وألِّبْ شعوبا في مَرَابِضِهَا مِنْ هَمِّهَا الجِنْسُ والتَّصْفِيقُ والعَلَفُ[22]

ويقول أيضا في قصيدة أخرى وهو يخاطب حادي العيس ويستوقفه ويأمره بأن لا يشدو:

أَفَقْتُ مِنْ حُلُمِي والرِّيقُ يَبْلَغُنِي وَجَدْتُ "مَيَّة " في أَحْضَانِ صُهْيُونَا[23]

و"مية" هنا هي" فلسطين" فهي التي تركها العرب في أحضان الكيان الصهيوني الإسرائيلي. ثم يواصل سرد واقعه السياسي المُر بِنَبْرَةٍ فيها من الغضب والاحتجاج والثورة على هذه الأوضاع يقول:

يا حادي العيس لا دنيا و لا دينا تهنا كبائعنا في تيه شارينا

يا حادي العيس لا تشدو لمن فسقوا المرء خانوا اليتامى و المساكين[24]

ثم يأمره ويمنحه سلطة التغيير والتمرد بأن يقول له: صِحْ وتحركْ لتغيير الأوضاع المزرية:

---

[22] المصدر نفسه، ص: 78.

[23] المصدر نفسه، ص: 32.

[24] المصدر نفسه، ص: 32.

صِحْ في القبائل قَدْ طَالَتْ غِوَايَتُنا مَنْ كَانَ يَجْمَعُنَا قد بَاتَ يَنْفِينَا[25]

وهذه القصيدة تَحْكِي ألم فلسطين في يد اليهود الأنجاس حيث يختمها بقوله:

يا أرض..لا تلدي الفجار لا تلدي بســاق مومســة بــاعوا فلســطين

"أ بشير" معذرة ظلت خواطركم هذه الشبيبة قد شابت بعشرينا[26]

ولم يكن الشاعر – دائما – يفضل أسلوب المواجهة المريحة والمكاشفة بل إنَّه كثيرا ما يلجأ إلى تغليف وتقنيع موقفه وتكثيفه عن طريق الرمز حيث وصف فلسطين بـ "مية"

إنَّ الأزمات التي عاشها الشاعر الجزائري في العقود الأخيرة والانكسارات الاجتماعية والسياسية التي زلزلت كيانه وأثارت غضبه العارم، دفعته إلى تَلَمُسِ مسارات للخلاص كان أحدها وأفضلها الحلم؛ الذي يعد ظاهرة إنسانية تُمَكِنُ من تلطيف الأجواء، فبفضله يتخلص الشاعر من ألامه الواقعية الحادة ويتخلص الشاعر من التوتر المؤرق كما يقول نوفاليس:"..الحلم في رأيي سلاح يحمينا من أطراد الحياة و يُسرها المعتاد راحة من الخيال المعقد ... لولا الحلم لشِخْنَا قبل الأوان....."[27].

إذن وبفضل الحلم يتمكن الشاعر من التخلص من آثار واقعه السياسي القمعي البائس، ويتمكن من ابتناء واقعه المثالي المأمول، ولكن سواد الواقع

---

[25] عيسى لحيلج، غفا الحرفان، ص:32.

[26] المصدر نفسه، ص: 33.

[27] عبد القادر المكاوي، ثورة الشعر الحديث، الهيئة المصرية للكتاب، 1972، ج1، ص: 48.

ووحشيته تقطع وتيرة الحلم، ليصبح كابوسا مرعبا يشتت آمالها ويحيل حاضرها ومستقبلها إلى معاناة مؤلمة.

يقول عيسى لحيلح بعد أن بدأ مقدمته بذكر شدة هيامه ب .(مية) وذكرياته معها وكأن كل ذلك كان حلما جميلا، لأنه سيفيق ويجد واقعا بائسا مرعبا:

ما أتعس الصب...ما أشقى تعلله بالطين...اذْ أهله قد أصبحوا طينا

فتشت في عمن ذاتي بخمرتها فذابت النفس في أقداح ساقينا

ورحت أشربها حينا و تشربني والشوق يرسمنا حينا و يمحينا[28]

إلى أن يقول:

أفقت من حلمي و الريق يبلعني وجدت "مية" في أحضان صهيونا[29]

لقد صَدَمَ الواقع الذي مرَّ به الشاعر الأحلام التي كان يعيشها الشاعر الإنسان، فقد نهض من حلمه فوجد قطعة من قلبه ووطنه " فلسطين" قد اغتصبها بني صهيون فنغص عليه نومه وحلمه المليء بالذكريات الجميلة والسعيدة

فالذات الشعرية تجد في السفر عبر الحلم ملاذا وملجأً للتنفيس عن غضبها السياسي والاجتماعي، خاصة لمّا تعجز عن الوصول إلى ما تصبو إليه، فتتخذ من الحلم حضنا وعالَما تصنعه كما تريد.

---

[28] عيسى لحيلح، غفا الحرفان، ص: 31.

[29] المصدر نفسه، ص: 32.

خاتمة:

_ وخلاصة القول إنَّ الشاعر عيسى لحيلح واحدٌ من الشعراء الجزائريين المحدثين الذين عايشوا وما زالوا يعايشون تجربة الواقع المُؤلم والمر بكلّ أبعادهِ متأثراً بالظروف السياسية والتاريخية وبصدمة تجربته الخاصة مع أجواء هذا الواقع وتأثيراته عليه حيث الحسرة وخيبة الأمل والإحباط الموحِش.

_ وكان لهذا الصراع والصدام العنيف بين الشاعر عيسى لحيلح وواقعه المظلم وقعٌ راسخ في تطور تجربته الشعرية، واختيار أساليبه الفنيّة والمعجمية والدلالية لرصد عمق المأساة.

_ إنَّ الغضب السياسي بالنسبة لعيسى لحيلح كان وسيلة وصرخة احتجاج واعتراض وتعبير عن صراع المركز والهامش، والذي يعيشه المجتمع مع السلطة السياسية ونظرة كل منهما إلى الآخر.

المصادر والمراجع:

1) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تقديم الشيخ حسن تميم، مراجعة محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، ط3 ، لبنان، بيروت، /1987
2) أحمد المديني، أسئلة الإبداع في الأدب العربي المعاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1985.
3) أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة بيروت، مكتبة مدبولي القاهرة، ط2، 1985.
4) حميد مخلف الهيتي، الرفض في شعر الشريف الرضي، مجلة آداب المستنصرية، العراق، بغداد، العدد14 /1986- 1406.
5) سعيدي محمد، الرفض في الشعر العربي، مجلة الأثر الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة – الجزائر– العدد السابع– ماي– 2008.
6) عبد القادر المكاوي، ثورة الشعر الحديث، الهيئة المصرية للكتاب، 1972، ج1.
7) عمر فاروق الطباع، مواقف في الأدب الأموي، دار القلم، لبنان، بيروت، ط1، 1991.

8) عيسى لحيلح، غفا الحرفان، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
9) عيسى لحيلح، وشم على زند قرشي، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة الجزائر ط1، 1985.
10) نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، لبنان، بيروت، منشورات نزار قباني، ط 2،ج3. السنة 1982.
11) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ج1، ط5، 1984.
12) يوسف الحناشي، الرفض ومعانيه في شعر المتنبي، تونس، الدار العربية للكتاب، ط1، 1984.